المغبور : طاقة العطاء في ظفار

تتحول الساحة التي تقع مقابل حديقة طاقة العامة في الأسبوع الأخير من كل شهر إلى مهرجان للأعراس. تصطف الخيام قبل العرس بيومين، ثم تزدحم بالمهنئين الذين يأتون من شتى المناطق الساحلية والجبلية يتسابقون إلى مشاركة العرسان أفراحهم بالتهنئة والعطاء. أعرف كثيرا من الرجال الذين يرصدون ميزانية خاصة للأعراس وآخرين يضيق بهم الحال ولا يجدون سعة من مال للتبرع والمشاركة؛ فيلجؤون إلى الاقتراض من أجل أن يساهموا في العطاء. وفي يوم السبت المنصرم صرت مسكونا برغبة الكتابة عن هذه الظاهرة الإيجابية التي صارت شعيرة دينية وقيمة أخلاقية وسمة اجتماعية متجذرة في نفوس الكبار والصغار في محافظة ظفار، هذه المنطقة من السلطنة الحبيبة التي لم تشهد مجاعة عبر تاريخها، والتي وصفها كل من زارها بأنها بلد الخير والعطاء. يفوح كرم الظفاريين كما تفوح رائحة لبان الحوجري والنجدي والحاسكي واالشزري . وكان انتباهي مركزا على العديد من الشباب الذين يعرفون بالطواف على جميع الأعراس في كل أنحاء ظفار، و من بين الشباب الذين التقيت بهم؛ أيمن المغني الذي سألته عن عدد الأعراس في محافظة ظفار فأخبرني بأنه لا يعرف إحصائية دقيقة، لكنه حضر أعراسا في صلالة وأخرى في طاقة وكذلك أخبرني الشاب سهيل المهري الذي حضر أعراسا في مرباط وأخرى في السهل الممتد بين ولاية طاقة ومرباط ثم جاء ليكمل صنيعه في أعراس طاقة. تأملت في من يتقاسمون هذه العادة وهم يتنقلون بين خيام الأعراس مبتسمين وفرحين ومستمتعين بخراج الفلوس من جيوبهم ودفعها إلى أمين مال العريس في كل خيمة من خيام الأعراس. يعطي هؤلاء المال طواعية ومحبة بدلا من كنز أموالهم أو شراء أشياء استهلاكية. تساءلت وأنا أعلم أن العطاء دافع نفسي عميق في النفس البشرية، فالإنسان خلقه الله ليعطي، فمن يعطي حسب الدراسات النفسية فإنما يعطي لنفسه ويكافئ ذاته. أظهرت الدراسات النفسية أن العطاء والتطوع ليست دوافع روحية فقط بل هي من أسباب الصحة وإطالة العمر، ويبدو أن اقبال الناس على العطاء والتبرع والتطوع يجلب لهم الشعور بالسعادة، وفقا للدكتور مايكل نورثون أستاذ إدارة الأعمال في جامعة هارفارد عندما يعطي الناس فإنهم يشعرون بمكافأة الذات مما يجعلهم سعداء. وقد كشفت مجموعة متزايدة من الأبحاث عن العديد من الفوائد النفسية والفسيولوجية للعطاء ، مما يتحدى المفاهيم الشائعة حول العلاقة بين المال والسعادة. في عام 2008 أجرى نورتون وزملاؤه دراسة، حيث منحوا 5 دولارات أو 20 دولارًا لمجموعة من الناس ثم أمروهم بإنفاقها إما على أنفسهم أو على الآخرين. وفي وقت لاحق من ذلك المساء ، سأل الباحثون المشاركين في الدراسة ليعرفوا شعور هؤلاء المنفقين والذين تلقوا المال، .فأفادت المجموعة التي أعطت المال للآخرين أنها شعرت بالسعادة على مدار اليوم. علاوة على ذلك ، أظهرت النتائج عدم وجود فرق عاطفي بين الأشخاص الذين حصلوا على 5 دولارات وأولئك الذين حصلوا على 20 دولارًا.

وفي نفس السياق تؤكد نتائج أبحاث أخرى ان العمل التطوعي يعزز الصحة النفسية والصحة العضوية وأن الأشخاص المسنين الذي يساهمون في أعمال تطوعية يعيشون بفترة أطول بنسبة 44% على مدى الخمس سنوات التي شملتها الدراسة. ويعتبر العطاء من أنجح أساليب التغلب على الاكتئاب. وتعتبر هذه النتائج عالمية من خلال دراسة أجريت عام 2013 و تظهر العلاقة الإيجابية بين العطاء والسعادة في 120 دولة حول العالم. د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية